

# الفصل التاسع

شعر العشماوي

تحت مجهر التصور الإسلامي



## شعر العشماوي تحت مجهر التصور الإسلامي

بعدما عرفنا مكونات شخصية هذا الشاعر، والعوامل المؤثرة فيها، بقي لنا أن نعرف مدى مطابقتها شعره للتصور الإسلامي، فلنضع شعره إذن تحت مجهر هذا التصور، ولنبدأ بـ

### نظرته إلى الإنسان

الإنسان في التصور الإسلامي جسد وروح ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨ - ٢٩].

وجوهر الطبيعة الإنسانية في القرآن أنها مفضورة على التوحيد ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

فالأصل في الإنسان الخير، وقد تعثر به بعض الشرور، ولعل هذه الفطرة هي السبب في حمل الإنسان أمانة التكليف ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالإنسان في القرآن مجبول على التوحيد، فطبيعته الأصلية خيرة، ثم قد ينحدر إلى الشر، وذلك لقابليته للاختيار، وليس معنى هذا أنه خير مطلق، بل أن لديه ما يفعل به من الخير والشر، وهو في ذلك محكوم بالتربية والتنشئة: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

والإسلام عندما أقر بمادية الإنسان وحيوانيته لم يجعل أحدهما يطفئ على الآخر؛ إذ وازن بينهما، وجعل الغاية العليا من خلق الإنسان عبادة الله:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال جل شأنه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧].

وقال أيضاً: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَسْ نَصِيكَ مِنْ

الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]

وقال جلَّ شأنه في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ

اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

فهذه الآية تبين لنا كيف وازن الإسلام بين المادة والروح فلا يبخس

للجسد حقاً ليوفي حقوق الروح فيُحرِّم المباح، ولا يبخسُ للروح حقاً ليوفي

حقوق الجسد فيبيح المحرَّمات، وهنا تتجلى معجزة الإسلام في مراعاته

لفطرة الإنسان؛ إذ وازن بين رغباته الحيوانية، وسموه الملائكي، هذا وقد

أوضحتُ في فصل سابق الإنسان في التصور الإسلامي

السؤال هنا ما هي نظرة الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى الإنسان؟

إنَّ نظرة هذا الشاعر المسلم إلى الإنسان لم تتجاوز حدود ونظرة

الإسلام له؛ إذ نجدها التزمت بالتصور الإسلامي، فهاهو في قصيدة "من

أنت؟" في ديوان " حوار فوق شرع الزمن:

من أنت؟ تسألني فقل  
تُ لها أنا جسد وروح  
أنا شعاعٌ يمشدو ويقتل  
... يأسه أمل فسيح  
ويرى الجمال فينتشي  
لكنه لا يستبيح  
أنا ذلك الإنسان يسري  
.. في تواضعه الطموح

فهو إذن إنسان من جسد وروح استطاع إن يوازن بين رغبات جسده وروحانية روحه؛ إذ ينتشي بالجمال، ولكنه لا يستبيح ما حرّمه الله، فهناك ضوابط أوجدها الإسلام لضبط النزوات دون كبته، ويقول في قصيدة "صراع مع النفس" من ديوان " إلى أمتي "

كلنا مخطئون لكن علينا  
أن نروم الهدى ونبغى السدادا  
بشر شأنه التقلب لكن  
واجب أن يحطّم الأصنافا  
وجهاد الفتى مع النفس صعب  
هي تبغى حرية وعنادا

وهو يبغى السمو صعبٌ عليه

أن يضل الطريق أو يتممـأدى

ثمَّ يتحدث عن سمو الروح في قصيدة " أغنية الصمت الرهيب " فيقول:

أنفسنا بالروح تسـمـو وما

أجسامنا إلا كمثل الإطار

ويقول في قصيدة " رؤى الصمت " في ديوانه " إلى حواء "

يا قلبي الشاكي أما زلت في

شكٍّ من النفس ونجـواها؟

تريد أن تقـتـل منها المنى

ولم تزل تجـهـل. مغزاهـا؟

تريدها تشكو إلى غـيـر من

بث المنى فيـها وسوأها؟

مُبدعُها ألهمها. قادراً.

فُجورها حيناً وتقواها

نفسى التي ما خادعت مرةً

لا تشـتـكي إلا لمولاهـا

من هذا العرض السريع لبعض قصائد الشاعر العشماوي تبين لنا أن في نظرته للإنسان لم يخرج عن التصور الإسلامي، بل التزم به، كما نلاحظ أنه اقتبس من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾. فقال العشماوي عن النفس

مُبدعها ألهمها - قادرا.

فجورها حيناً وتقاها

كما نجد أن نظرته إلى المرأة كإنسان لم يخرج عن التصور الإسلامي؛ إذ احترمها وقدرها وجعلها رمز العفة والوفاء، ولم يمتنها، ولم يبتذلها أو يصفها وصفاً حسياً، أو يشير إلى الجنس بعبارات صريحة كنزار قبّاني، وغيره، أو كعمر أبي ريشة؛ إذ يحاول البعض أن يقللوا من شأن الشاعر العشماوي، لأنه شاعر ملتزم بالتصور الإسلامي فاتهموه بالتقليد لعمر أبي ريشة، وهذا يخالف الحقيقة، فإن كان عمر أبو ريشة كتب شعراً إسلامياً، أو لم يبتذل المرأة - كما يقولون - فإنه ليس كشعر العشماوي الذي يقطر جميعه بالإيمان، فإن أردت عصر شعره عصراً، فلن يخرج لك إلا إيماناً، هذه حقيقة فلا تكاد تخلو قصيدة له من ذكر الله وحب الله والخوف من الله، وخلق القرآن وسلوكه وآدابه، فهو بحق شاعر العفة والطهر والإيمان، أمّا عمر أبو ريشة عندما نقرأ شعره نجد في بعضه قد أمتن المرأة أيّما امتنان، بل نجد في بعضه عبارات جنسية ما كان ينبغي أن ينطق بها أو يوردها، وأقرب مثل على هذا قصيدته "ليلة" التي يتحدث فيها عن علاقة غير شرعية، وفيها إشارات إلى شرب الخمر في البار أو الحانة؛ إذ يقول:

قلت ما تشعرين؟ ما زالت الحانة

هذي بصححباها مأهولة

ربما كأسها نفض شذاها

ربما شوقها تبلُّ غليله

ولم يتوقف عند هذا الحد؛ فإذ به يقول:

ونهُضنا، ولم نخيِّب له ظناً

وسرنا والليل يطوي ذيوله

وبلغنا الكوخ الصغير. تخيَّرت

سريري. لم تستطبي بي بديله

وتهادى ما بيننا من حجاب

فانتشى دول ورفقت خميله

ولنقارن بين هذا المعنى الموجود في قصيدة أبي ريشة وبين معنى هذين

البيتين للعشماوي؛ إذ يقول العشماوي:

يا وردة ما استطعتُ ألمسها

أخشى بأن يفسدهتا اللمس

للطهر في أعماقها ألق

يسمونا ولجرحنا يأسو

وقوله أيضاً:

وهل يكون الحب ذا قـيـمـة

إذا خـلا من لذة الطهر

فقيمة الحب عند العشماوي تكمن في لذة الطهر، والطهر لا يكون إلاّ بعدم  
اللمس بينما الحب في نظر أبي ريشة، كما صورّه لنا كأس خمر وخلوة غير  
شرعية.

فشتان بين الاتيين، ولا مجال للمقارنة بينهما لأنّ الشاعر العشماوي يكاد  
ينفرد بلقب شاعر العفة والطهر والإيمان.

وإن كانت هذه حال الشاعر عمر أبي ريشة، فكيف بنزار قبّاني الذي  
يقطر شعره جنساً وإباحية بشكل يقزز النفس ويؤذي مشاعر كل أنثى حيية؟



### نظرة الشاعر العشماوي إلى الكون والحياة

عند قراءتنا لشعر العشماوي شاعر " العفة والطهر والإيمان" نجد نظرتة للكون والحياة لم تخرج عن نطاق التصور الإسلامي، فقد التزم به أيما التزام كقوله في قصيدة "أغنية الصمت الرهيب" في ديوانه "إلى حواء":

فليست الدنيا لنا غاية

ومالنا في ظهورها من قرار

وقوله في "مهرجان الشوق" من ديوانه إلى حواء:

ولكننا لو سـمـمـونا على

رغائبنا لكسبنا الرهان

ويقول في مركب الأمل:

أدركتُ أن حياة الناس مختبر

فما تطيب لهمَّاز وحلَّاف

ويقول في "يارب عونك":

خطاي في الدرب بالإيمان ثابتة

فما يزعزعها بغْي ولا زور

مني اجتهاد وسعي في مناكبها

ومنك يارب توفيق وتيسير

ويقول في أنشودة الفجر:

لا تحملي الهم ولا تجزعي

فـالـله يـرعـانـا ويـكـفـيـنا

أقـدارنا ليس لنا حيلة

تنأى بنا حيناً وتدُفينا

وقوله في "دبيب العروق" من ديوان " إلى حواء"

لله نُسألم أمرنا

في كل بائعة تبوق

ولكل شيء منتهى

إن طال أو قصر الطريق

ويقول في قصيدة "يا من تتاديني":

إيماناً بالله روض فما

يذبل فيه الزهر أو يجذب

سينتـهي المرء إلى غاية

وعندما يخسر أو يكسب

ويقول في "تأملات" في ديوان " صراع مع النفس":

أنا نطفة أصبحت إنساناً  
فكيف جـهلتُ قـدري  
ولم أترفع عن تراب  
منه سـوف يكون قـبـري  
إنني لأعجبُ لـلفـتي  
في لهـوه أو لـيس يـدري  
أنَّ الحـياةَ قـصـيرةٌ  
والعـمر كـالأحـلام يـسـري  
أماه ما أحلى الحـيا  
ةً مع الهـدى وصـلاح أمر  
فـالدين أسـما منـهـج  
والدين راحة كل فـكر  
وقوله في "هكذا الحياة":  
كم تحمّلتُ في الحـياة عـناءً  
وتجرّعتُ لوعـتي حين تقـسو  
وتصـبـرت والتـصـبـر خـير  
وهو من أسـهم المصـائب تُرس



أيها البائس هذا اليأس

.. والوجد عـلامـة

هذه الدنيا ستخطو

هذه إلى دار الإقـامـة

وهكذا نجد أنَّ نظرتَه للكون والحياة لم تخرج عن حدود التصور

الإسلامي لهما

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع شاعر العفة والطهر والإيمان لنا أن نتساءل:

أين هو من شعراء عصره؟

هذا ما سأجيب عنه في الفصل القادم إن شاء الله.



# الفصل العاشر

أين العشماوي

من شعراء عصره؟



## أين العشاوي من شعراء عصره؟

للإجابة عن هذا السؤال أقول: إنَّ هذا الشاعر الشاب المؤمن استطاع بقوة إيمانه وصفاء عقيدته ورهافة حسه ونقاء سريرته وخصوبة خياله وسلامة لغته وقوة بيانه وعمق ثقافته ونضج موهبته أن يتقدم شعراء عصره من الشبان، ويصل إلى مرتبة كبار الشعراء؛ إذ بلغ شعره في الآونة الأخيرة من العمق والنضج ما يجعله يحتل هذه المرتبة بجدارة واقتدار، فمن روائعه التي ستخلده عبر الأزمان:

١- مأساة التاريخ.

٢- نطفة الفجر.

٣- مع منير الليل.

٤- خفقان قلب.

واسمحوا لي أن نتوقف قليلاً عند بعض هذه الروائع.

### ١ - مأساة التاريخ وقصة الحلاج

يعد ديوان "مأساة التاريخ" من أروع دوواين هذا الشاعر المطبوعة؛ إذ استطاع فيه أن يطوِّع الشعر لرواية الأحداث التاريخية بطريقة تأملية فلسفية، ولعل أكثر ما يستوقف قارئ هذا "قصة الحلاج"، فقد كشف فيها حقيقة هذا الرجل الذي حاول الحداثيون وعلى رأسهم أدونيس وصلاح عبد الصبور أن يجعلوا منه بطلاً، وأنه رجل علم وفكر اضطهد واستشهد في سبيل التعبير عن رأيه بحرية.

## مقارنة بين مأساة التاريخ ومأساة الحلاج

في الوقت الذي اعتبر صلاح عبد الصبور قصة الحلاج مأساة اعتبر عبد الرحمن العشماوي أن ما قام به الحلاج من مآسي التاريخ، فكيف كانت نظرة كل منهما إلى هذه القصة؟

لقد نظر الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى قصة الحلاج نظرة المسلم المؤمن الغيور على دينه المحب له ولخالقه؛ إذ ملأ قلبه الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لذا فإن كل من يدعي الألوهية أو الحلولية فهو زنديق فاسق يستحق العقاب على هذا خاصة، وأنه تمكن من خداع العامة، وجعلهم يؤمنون بادعائه، فالحلاج كما روى لنا التاريخ هو:

أبو بعيث الحسين بن منصور الحلاج من مدينة البيضاء الفارسية، ونشأ بمدينة واسط، وانتقل إلى البصرة واستقر في بغداد، وهو صوفي متفلسف من الغلاة وادعى الاعتزال والإباحية والألوهية، وكان يقول بالحلولية أي بحلول الله في الأجسام، ويفسر هذا بقوله: " من هذب نفسه في الطاعة وصبر على الملدات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين، ثم لا يزال يصفو ويرتقي درجات الصفاء حتى يصفو عن البشرية، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم، فإذا ما وصل الإنسان إلى هذه المرتبة أصبحت جميع أفعاله من فعل الله تعالى، وقد اعتبر الحلاج أنه ممن وصل إلى هذه المرتبة، وعبر عن ذلك بقوله " أنا الحق"، وقد شاع أمر الحلاج في خلافة المقتدر العباسي وأفتتن به كثير من العامة يمثلون فرقة الحلاجية، ومن

مؤلفاته التي تثبت زندقته "طاسين الأزل"، و"اليقين"، و"الحياة الباقية"، و"القيامة"، و"القيامات".

هذا وقد كانت له صلة بالقرامطة الذين هذبوا تقويض الدولة الإسلامية، كما أنهم هاجموا بيت الله الحرام في موسم الحج، وقتلوا ثلاثين ألفاً من الحجاج، وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة المشرفة لصرف الناس عن الحج، هذا وقد أعدم الحلاج في عهد المقتدر بالله لتآمره على الدولة الإسلامية، ولزندقته وادعائه الألوهية، فقد أجمع العلماء على تكفيره.

وقد أثار دعاة التغريب، ومنهم الحداثيون قضية الحلاج وصورها على غير حقيقتها، وذلك لإثارة الشبهة حول الإسلام، وموقفه من حركة الفكر.

ولما كان صلاح عبد الصبور من دعاة التغريب، وممن تبعوا المذاهب الأدبية الغربية المتناقضة والمخالفة لديننا كالوجودية والماركسية وغيرها، فقد نظر إلى قصة الحلاج على أنها أزمة مثقف مع عصره، ولم ينكر عليه ادعاء الألوهية والحلولية، بل صور لنا في مسرحيته مأساة الحلاج أن محاكمة الحلاج كانت محاكمة صورية ظالمة لم تعطه فرصة التعبير عن رأيه، فأصدرت الحكم عليه بالشنق ظلماً وزوراً وبهتاناً.

واليكم بعض ما جاء في مسرحية مأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور: إذ يقول على لسان الحلاج - لأحد مريدي الحلاج:

تأمل إن عشقت ألسنت تبغي أن تكون شبيهه محبوبك

فهذا حبنا لله

أليس الله نور الكون

فكن نوراً كمثل الله ليستجلي على مرآتنا حسنه.

ويقول الحلاج لإبراهيم - أحد مريديه - عندما حذّره من إقدام الشرطة على القبض عليه: إذ قال له إبراهيم: أخشى أن يدركك الكيد الظالم ماذا تتوي؟ (نلاحظ هنا أنه قد صورَّ بهذه المقولة أن الحلاج مظلوم، وأن الدولة قد ظلمته.)

فيقول الحلاج

ما يرضاه الرحمن لمخلوقٍ في صورته ذي روح متصف بصفاته .  
فهنا إقرار من صلاح إدعاء الحلاج الحلوية، ومع هذا لم ينكر هذا عليه،  
مع أن هذا كفر وإلحاد .

ولنتقل الآن إلى الشاعر العشماوي، وكيف روى لنا قصة هذا الزنديق:  
فيقول على لسان التاريخ:

ثُمَّ يَمَّمْتُ الْمَدِينَةَ (١)

وإذا رأس على جذعٍ كبير

علَّقوه

رأس من هذا؟؟

وصاح القوم حولي:

أو ما تعرفه؟

(١) يقصد بغداد .

إنَّه الحلاج

شيخ طريقة

إنَّه الصوفي

ما أزهده.

بل هو الزنديق.

يدعو بالحلول

وأحاط النَّاسُ به.

بعضهم

يلعنه يلعن فعله.

بعضهم

يحمده يحمده عقله

الصوت: "ممتعضاً".

أيها التاريخ.

قد صيرتني

يا تُرى.

ما مذهب الشيخ الشَّقِّي.

التاريخ:

أيها الصَّوت.

تمهَّل

فلقد حيرني ما صنع القومُ به.

وتساءلت.

في قلبي من الحيرة نارُ

به ترى

ما مذهب الشيخ الشُّقي؟

ودنا مني عجوزٌ ثمَّ قال:

أيها السائلُ سجِّل: كان هذا الشيخ زنديقاً وصوفياً معاً

كان شيعياً إذا جاء إلى دار الخليفة

وحلولياً إذا ألقى دروسه

آه لو تقرأ "طاسين الأزل"، و"اليقين"، و"الحياة الباقية"، و"القيامة

والقيامات"، وبعض الكتب

أيها السائل:

إنَّ الشيخ قد ضلَّ، وقد نال جزاءه، وقصارى القول: إنَّ الشيخ لو لم

يتزندق ما تحرق.

وسرارة القوم لو لم يتمادوا في الهوى لم يردوا في الناس من يمقتهم

بعضهم يعذبُه الله ببعض.

أُيها السائل:فاعلم.

الصوت: أصححُ ما تقول!؟

فلماذا بعضهم يرفع قدره.

لعنوا من أجله المقتدرا

ورأوا أنَّ يد الظُّلم

قد امتدت إليه.

فمضو ببيكونه

ويُذبيون على مأساته أكبادهم.

ولعلَّ الشَّاعر يقصد بهؤلاء أمثال صلاح عبد الصَّبَّور.

وبعد هذه المقارنة بين نظرتين لصلاح عبد الصَّبَّور الشاعر الحدائي الوجودي وبين عبد الرحمن العشماوي شاعر العفة والطُّهر والإيمان اتضحت لنا نتائج التأثير بالمذاهب الأدبية الغربية الحديثة؛ إذ جعلت البعض منا يمجد من يتجرأ على الذات الإلهية، ويدَّعي أنَّه متَّصف بصفات الله، بل هناك من رثى الحلاج مثل أدونيس؛ إذ يقول في مرثية للحلاج:

يا كوكباً يطلع من بغداد.

محملاً بالشعر والميلاد.

وبهذه المقارنة اتضح لنا أيضاً تفوق الشَّاعر العشماوي على صلاح عبد الصبور، ليس فقط من حيث المضمون، ولكن من حيث الصياغة الفنية، ومجال

التعبير، وعمق التصوير، وفوق كل هذه نقاء العقيدة، وصفاء الثقافة من كل شوائب التغريب والإلحاد .

وممّا يؤسف له أنّ مأساة الحلاج لصلاح عبد الصبور قد مُثِّلت على المسرح، واعتُبرت من روائع المسرح الشعري، وهذا يعكس لنا أنّ سيادة مذهب البرناسية ( الفن للفن )، قد عمّت الأرجاء، وأصبحت تقرّها بعض الجهات المسؤولة دون أن تعترض على معارضته للدين، فبالرغم ممّا في هذه المسرحية من كفر وإلحاد دون إنكار، بل اعتبار الزنديق بطلاً ومظلوماً، فإنّ هذه المسرحية قد عرضت في التلفاز المصري، وربما عرضت في دول عربية أخرى.

## ٢- نطفة الفجر

رائعة أخرى من روائع هذا الشاعر أبدع فيها أيما إبداع، وهي قصيدة تأملية فلسفية تأمل فيها شاعرنا الكون وما فيه من تآلف وعشق؛ إذ سجّلت الآفاق أروع قصة من العشق بين السحائب والزّهر؛ فتمد السحب الزهر بالماء الذي به يزهو وينتعش، وكم كان تصويره رائعاً لهذه القصة فكانت لوحة إبداع، ثمّ ينتقل إلى البحر ليصور به ما تعج به نفسه من مشاعر متوهجة كالأمواج المتلاطمة، وهو يتأمل واقعنا المؤلم وجاءت هذه لوحة إبداعية أخرى، ثمّ صورّ أحوال النَّاس وضلالهم، وانقلاب الموازين لديهم بلوحة إبداعية أخرى، والحقيقة أنّ هذه القصيدة قد امتلأت، بل احتشدت بالمعاني والصور الجديدة المبتكرة مثل: نطفة الفجر، ونخل الحنان بلا تمر، وغيوم السّماء عوانس تفتش عن دفء الغرام، وتشبيه عمق التأمّل بالبئر، وقوله: عن الليل يضعف في كبر ضفار شعره فتتكشها بعد العناء يد الفجر.

ويقضي لسان الأرض بالحمد والشكر، وقوله: ولا تنفثي في أدمعي طاقة  
القهر.

وتلبس ساعاتي ثياب تباطؤ فأشعر أن اليوم يهزأ بالشهر  
وأن الأرض من تحتنا تجري.

وتصنعها كف الشتاء دوائر من الثلج تدحوها أكف من القر

كما امتلأت القصيدة بالمعاني العميقة التي كشفت لنا عن نضج موهبة  
وعمق تجربته؛ إذ زانتها الحكم التي جعلت من شاعرنا الشاب فيلسوفاً حكيماً،  
ومن الحكم التي وردت في هذه القصيدة:

إذا استعذب الإنسان طعم ضلاله

فسوف يذوق المر في ساحة الحشر

وأن ثراء المرء ليس عـلامـة

على صدقه فالفاتك اللص قد يثرى

وأن غني النفس أقوى من الفقر

وصار غراب البين فيه حمامة

وصارت بغات الطير تهزأ بالنسر

إشارة هنا إلى انقلاب موازين البشر في هذا الزمن.

كأن فناء الناس يعني بقـاءهم

ورحلة هذا العمر تعني مدى الدهر

وإشارة إلى تكالب النَّاس على الدُّنيا وظلمهم للمستضعفين والشاعر في هذه القصيدة لم يملكه اليأس رغم سوء الأحوال فقوة إيمانه بالله جعلته يؤمن بأنَّ الله ينصر دينه، وكل من يجاهد من أجل إعلاء هذا الدين، لذا كان لديه أمل في أن ظلمة الليل تحمل في أحشائها "نطفة الفجر":

إذا كان من عُسرِ علينا فإِنَّا  
لنؤمن أنَّ العُسرَ يفضي إلى يُسرِ

### ٣- مع منير الليل

هي ملحمة شعرية يصور فيها الشاعر حال الأمة الإسلامية، وما آلت إليه، وذلك بصور إبداعية غنية بالروعة والجمال والعمق والصدق وقوة العاطفة، وهي لا تقل روعة عن نطفة الفجر إن لم تتفوق عليها، إذ استطاع فيها أن يتفوق على نفسه، وعلى كثير من الشعراء في مختلف التصورات تعد هذه الملحمة من روائع الشعر العربي، فتعالوا نبحر معاً في أعماق هذه الملحمة لنستخرج بعض لآئها، ومن تلك اللآئ.

كأَنَّنا في مدار الشمس مركبة  
للنور منها فؤاد الشمس ينبهرُ  
أليس فينا كتاب الله يمنحنا  
نوراً به ظلمات الشُّرك تندثرُ

نرقي به في سماء المجد يرفعنا

من كل ساقطة يشقى بها البشرُ

ففي البيت الأول لؤلؤتان: أولاهما:

أنَّ البشر مركبةٌ في مدار الشمس، وثانيهما: فؤاد الشمس.

أمَّا البيتان الثاني والثالث فهما عقد من أثمان الجواهر تزين به جيد هذه

الملحمة، وتكمل نظم هذا العقد هذه الأبيات:

بحارُنَا يا منير الليل مائجةٌ

ومالنا فوقها غيمٌ ولا مطرُ

آثار أعدائنا في أرضنا كثرت

ومما لإقدامنا في أرضنا أثرُ

أفكار أعدائنا فينا منفذةٌ

ونحن أفكارنا في الرأسِ مختمرُ

نبني قصوراً من الأوهام سامقةٌ

وقلعة الحقِّ لم يوضع لها حجرُ

وهنا نجد درراً قد انتظمت في عقد فريد فهاكم نظمها:

يا غابة الخوفِ مالي فيك من وطنِ

وإن تكاثر في أنحائك الشجرُ

أَغْفَلْتُ مَعْنَاكَ مِنْ نَفْسِي فَلَا أُذْنِي

تُصْغِي إِلَيْكَ وَلَا يَرْتَادُكَ الْبَصَرُ

وَكَيْفَ يَسْكُنُ خَوْفُ قَلْبٍ مَتَّصِلٍ

بِاللَّهِ يَرْضَا بِمَا يَأْتِي بِهِ الْقَدْرُ؟

ويزين الشاعر معصم هذه الملحمة بسوار من الزمرد الأخضر ليطرد به

اليأس ويحيي الأمل في النفوس، فاذا به يختم الملحمة قائلاً:

قَالَ الْهَلَالُ وَفِي عَيْنَيْنِ غَاشِيَةً

مِنَ النَّعَاسِ وَفِي أَضْوَائِهِ حَذْرُ

يَلْقَى الْعَدُوَّ لَهُ مِنْ هَزْلِكُمْ سِنْدًا

لَكِنَّهُ حِينَ يَلْقَى الْجَدَّ يَنْدَحِرُ

تَمْدَقَامَتَهَا الظُّلْمَاءَ فِي صِلْفٍ

لَكِنَّهَا حِينَ يَدْنُو الْفَجْرُ تَنْحَسِرُ

كَذَلِكَ الظُّلْمُ يُلْقَى سَيْفِ سُلْطَنِهِ

إِذَا رَأَى بِأَمْرِ اللَّهِ نَاتِمِرُ

#### ٤- خفقان قلب

يؤسفني عدم إفاء هذه القصيدة حقها؛ إذ تعذر عليّ الحصول على نصها الكامل، فلا يوجد لديّ إلاّ المقطع الذي أورده الشاعر العشماوي في لقاء ملحق الندوة الأدبي معه، والذي نشر بتاريخ ١٠/١/٢٠٧هـ، وقد تحدّث فيه عن مناسبة هذه القصيدة، فقال: " القصيدة جاءت من تجربة واقعية. أقلام غير منصفة كتبت عني اتهمتي . اتصال هاتفني حمل إليّ كلاماً يسارياً إلحادياً ألمني، كل ذلك أنبت في قلبي شجرة حزن . أثمرت هذه الشجرة هذه القصيدة:

شكت نفسي وألجمني حيائي

وألجماني السكوتُ إلى البُكاءِ

إذا شاهدت للباغي بريقاً

فلا يغفرك إتقان الطلاءِ

وما جدوى الجمال لذات حسن

إذا باعته في سوق البغاءِ

وما نفع العتقول إذا سلكننا

بها درب اللجاجة والمرءِ

وشرُّ النَّاسِ من يجترُّ قولاً

بغير تدبُّرٍ كالببغاءِ



# الخاتمة



## الخاتمة

وبعد: هذه الرحلة التي جينا خلالها دوحات هذا الشاعر ورياض شعره الغناء التي تعبق بشذا الإيمان، وعبير الطهر، وأريج العفاف، وتشرها في الآفاق، وفي سائر الرياض نسائم رقيقة بثتها عواطف وأحاسيس ندية لي أن أقول كلمة، وهي:

أنَّ بذور الإيمان التي تثبتُ في قلب وعقل ونفس ووجدان هذا الشاعر، والتي سقتها ورعتها أمه، وعمقت جذورها قريته "عراء" بصفائها ونقاؤها، ثمَّ تعهدتها ثقافته الإسلامية، فاخضوضرت، وأورقت وأثمرت ثمراً خيرة ناضجة، فأصبحت روضة غناء ثرية بأشهى الثمار، هذه البذور هي كانت مبعث هذا الثراء في الفكر، وفي الموضوعات، وفي المضامين، وفي العفة، وفي الصور الفنية الرائعة، والصور البيانية المبدعة، وهي التي كانت مبعث تلك الأحاسيس المتدفقة، والعواطف الصادقة، والمشاعر الندية، وجعلته يستحق بجدارة لقب شاعر العفة والطهر والإيمان؛ إذ هدَّب الإسلام عواطفه، وضبط الإيمان أحاسيسه، فارتقى بهما إلى مراتب عليا من الطهر والعفاف تصمد أمام الأهواء رغم رقتها، وتقامم الأعاصير رغم شفافيتها، وفي الوقت ذاته تنهل من ينابيع الطهر والعفاف ما يروي ظمأها.

إنني أحمل قلباً خافقاً

ليت قلبي للهوى لم يخفق

حبي الطاهر أسمى هدفاً  
 فأعـيـذ به بربّ الفلق  
 أشهدُ اللهَ على عفته  
 وعلى الطهر وحرّ سن الخلق  
 أرفض الحب الذي ينكره  
 خلقي فالحبُّ إحساس نفسي

وهكذا نجد أنّ التزام هذا الشاعر بالتصور الإسلامي جعله يُخلِّق في سماء الإبداع متفوقاً به على أقرانه، بل على كثير من الشعراء، لأنّه نادراً ما نجد شاعراً التزم بهذا التصور كالتزام الشاعر العشماوي، فهو بهذا الالتزام كوّن بشعره مركبة للنور تسبح في الفضاء ليسطع نورها كل الآفاق مبدداً من نفوسنا ظلمات اليأس؛ إذ يقول لنا أنّه برغم الحملات المكثفة علينا لغزونا فكرياً، ورغم خضوع معظمنا لهذا الغزو والاستسلام له إلا أنّ هناك منا من يقاوم هذا الغزو، لأنّ قوة إيمانه بالله أقوى من كل جحافل الأعداء ومغريات الحياة، وأنّ بريق الإيمان يفوق البريق الزائف للشعارات والألفاظ.

ومهما حاول المغرضون أن يقللوا من قيمة هذا الشاعر، إذ يتهمونه تارة بالتقليد، وتارة أخرى بالخطابية إيعازاً منهم بأنّ الشعر الإسلامي شعر جامد، فإنّ شمس هذا الشاعر ستسطع في سماء الأدب لتبديد كل ظلمات التغريب والشرك والإلحاد والوثنية من ساحتنا الأدبية.

يقولون في شعري وضوح وحكمة

وذلك أسمى ما يُقال وأرفع

يقولون في شعري رنين خطابة

ولو سمعوا دقات قلبي لأقلعوا

أما علموا أنني أصوغُ مشاعري

وأنني على أوتار قلبي أوقع

وأن فؤادي كنز حبٍّ وحسرةٍ

يُبيح لشعري ما يشاء ويمنعُ

وفي القلب أصل الشوق والحزن والرضا

ومن أصله أغصان شعري تفرعُ

ولكن إيمان هذا الشاعر سيجعله يصمد أمام أقاويل المغرضين، ويواصل

مسيرته الإبداعية:

إن كان مولاهم الشيطان يدفعهم

إلى الضغائن فالرحمن مولانا

وفي ختام هذا البحث أقول: عليّ استطعتُ في هذه الدراسة المتواضعة

أن أقدم نموذجاً للشعر الإسلامي وإخضاعه لدراسة نقدية وفق نظرية التصور

الإسلامي التي يجب أن تكون قاعدة النقد والتقويم لكل الأعمال والفنون؛ إذ

علينا ألاّ نفصل الدين عن الأدب.

هذا وقد يلاحظ القارئ الكريم أنني لم آخذ على الشاعر سوى مأخذاً واحداً، والحقيقة أنني لم أجد ما آخذه عليه؛ إذ بهرني عمق إيمانه، وفيض طهره وعفافه، فهذه قيمة، في نظري لا تعادلها قيمة أخرى، وأعتقد أنه لا يوجد شاعر ملتزم إلاً واستسلم في لحظات ضعف للهوى، فقال شعراً ما لا ينبغي أن يقوله، ولكن هذا الشاعر كان في كل الأوقات والحالات، وفي غمرة فيضان أحاسيسه ووجدته يذكر خالقه، ويخافه ويراقبه، ويحرص كل الحرص على ألاً يبدر منه ما يغضب الله فيعف:

ولا تحسبي أن حبي سوف يجعلني

أقُرُّ نفسي على عصيان خالقي

يا وردة ما استطعت ألمسهـا

أخشى أن يفـقدها اللمس

للطهر في أعـمـماقنا ألق

يسـمـو بنا ولجـرحنا يأسـو

حب فإن مسـسـته كـفُّ الخنا

فـقـد غدا ضـرباً من العـهر

وهل يكون الحب ذا قيـمـة

إذا خلا من لـذة الطـهر

حبي الطاهر أسـمـى هدفاً

فأعـيـذ به رب الفـلق

أشهد الله على عفته

وعلى الطهر وحسن الخلق

أرفض الحب الذي ينكسه

خلقي فالحب إحساس نقي

هذه مقاطع من روائع ترانيم الطهر، فماذا آخذ عليه، وهو بكل هذا

الإيمان، كم أتمنى أن يتحلى به كل مسلم!

وها هو قد تحقق ما كنت أتمنى، هذا وإن كان قد خرج عن القصيدة

العمودية في بعض قصائده، أجده غير مقلد لشعراء الحداثة، فهو مبدع دونما

تقليد، ومحافظ على أصالته وقيمه ومبادئه، ونجده كتب الروائع مثل: "مأساة

التاريخ"، و"حرق في وجه الظلماء"، و"ندما يهب نسيم الصفا".

**وأخيراً أقول:** إنَّ قوة إيمان هذا الشاعر هو مصدر إبداعه، ومادام بهذا

الإيمان، فهو بإذن الله سيصل إلى المعالي مهما حاول المفرضون إبعاده عن

الأضواء والتقليل من شأنه، وكم أتمنى أن يتبوأ هذا الشاعر المؤمن المكانة التي

يستحقها، وأن يشارك في المهرجانات الشعرية والأدبية التي تقيمها البلاد

العربية، فهو خير من يمثل أمة القرآن، ففي شعره تقوى وعفاف وتقويم

وإصلاح وحلاوة وإبداع.

## توصيات الدراسة

بعد هذه الدراسة المتواضعة لشعر الشاعر الكبير الدكتور عبد الرحمن العشماوي أوصي بالآتي:

- ١- ترجمة شعر الشاعر عبد الرحمن العشماوي إلى مختلف اللغات، فهو خير معبر عن تاريخ وقضايا أمتنا، وخير مثل للشعر الإسلامي، لتبلغ رسالته للأمم الأخرى، وحري بنا أن نفخر بهذا الشاعر "شاعر العفة والطهر والإيمان" الذي أنجبته أرض الحب والخير والعطاء.
- ٢- أن تکرّمه الدولة وترعاه، فهو ثمرة طيبة من ثمار الخير طرحتها غرسة تطبيق الشريعة الإسلامية من قبل حكّام هذه البلاد.



# المصادر والمراجع



## ثبت المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، ط٩، ١٤١٧-١٩٩٧م، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
- ٣- سيد قطب: في ظلال القرآن، ط١٧، ١٤١٢-١٩٩٢م، دار الشروق، بيروت - القاهرة.
- ٤- د. عبد الحمن رأفت الباشا: نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، قبرص.
- ٥- رابطة الأدب الإسلامي، مكتب البلاد العربية، من الشعر الإسلامي الحديث، ط١، ١٤٠٩، الحديث -١٩٨٩م، دار البشير، عمان - الأردن.
- ٦- د. عبد القدوس أبو صالح، د. محمد رجب اليومي: من شعر الجهاد في العصر الحديث، ط٢، ١٤١٣-١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
- ٧- سهيلة زين العابدين حماد: إحسان عبد القدوس بين العلمانية والفرويدية، ط١، ١٤١١-١٩٩١م، دار الفجر الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- ٨- صلاح عبد الصبور: ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت.
- ٩- أدونيس: الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت.

- ١٠- أمل دنقل: الأعمال الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر.
- ١١- محمد قطب: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، بيروت.
- ١٢- محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت.
- ١٣- ابن منظور: لسان العرب.

### دواوين الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشاوي:

- ١٤- ديوان إلى أمتي.
- ١٥- إلى حواء.
- ١٦- بائعة الريحان.
- ١٧- قصائد إلى لبنان.
- ١٨- حوار فوق شراع الزمن.
- ١٩- صراع مع النفس.
- ٢٠- شموخ في زمن الانكسار، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٢١- جولة في عربات الحزن، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٢٢- عندما يتن العفاف، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- ٢٣- ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة - بيروت.
- ٢٤ - ديوان صلاح عبد الصبور، المجلدان الأول والثاني، دار العودة، بيروت.
- ٢٥- أدونيس، الأعمال الكاملة، دار العودة بيروت.
- ٢٦- سهيلة زين العابدين حماد: الجزءان الأول والثاني من فكر توفيق الحكيم تحت مجهر التصور الإسلامي، لم ينشر بعد.
- ٢٧- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، سنة ١٣٩٩هـ.
- ٢٨ - أنور الجندي: شبهات التغريب، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٩- أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر.
- ٣٠- علي خليل أبو العينين: فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي.
- ٣١- مجلة كلية اللغة العربية، العددان الثالث عشر والرابع عشر، ١٤٠٣ - ١٤٠٤هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ٣٢- ملحق الندوة الأدبي، الأعداد الصادرة في: ٢٠ شعبان سنة ١٤٠٦هـ، ١٠ محرّم سنة ١٤٠٧هـ، ٢٨ جمادي الآخرة سنة ١٤٠٦هـ.
- ٣٣- الأربعاء العدد ١٨٣، ٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٧هـ.
- ٣٤- مجلة الحرس الوطني، العدد ٢٩ جمادي الأولى سنة ١٤٠٦هـ.
- ٣٥- مجلة الحرس الوطني: العدد ٢٧ ربيع الأول سنة ١٤٠٦هـ.